مثل الذين خلوا من قبلكم اى شبه الذين مضوا قبلكم من النبيين واتباعهم من المومنين مستهم البأساء اى اصابهم الفقر والشدة والمسكنة وهو اسم من البوس والضراء يعنى المرض والزمانة وضروب الخوف وزلزلوا اى وحركوا بانواع البلايا والرزايا واصل الزلزلة الحركة وذلك لان الخايف لا يستقر بل لا يزال يضطرب ويتحرك لقلقه حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله وذلك لان الرسل اثبت من غيرهم واصبر واضبط للنفس عند نزول البلا وكذا اتباعهم من المومنين والمعنى انه بلغ بهم الجهد والشدة والبلا ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية القصوى فى الشدة فلما بلغ بهم الحال فى الشدة الى هذه الغاية واستبطوا النصر قيل لهم الا ان نصر الله قريب اجاب لهم الى طلبتهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلا والشدة عن دينهم الى ان اتاهم نصر الله فكونوا يا معشر المومنين كذلك وتحملوا الاذى والشدة والمشقة فى طلب الحق فان نصر الله قريب خ عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له فى الارض فيجعل فيها ثم يوتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد مادون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعا الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه ولكنكم تستعجلون قوله عز وجل يسالونك ماذا ينفقون نزلت فى عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق فانزل الله تعالى يسالونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير اى مال والمعنى وما تفعلوا من انفاق شىء من المال قل او كثر فللوالدين وانما قدم الانفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد لانهما كانا السبب واخراجه من العدم الى الوجود والاقربين وانما ذكر بعد الوالدين الاقربين لان الانسان لا يقدر ان يقوم بمصالح جميع الفقرا فتقديم القرابة اولى من غيرهم واليتامى وانما ذكر بعد الاقربين اليتامى لصغرهم ولانهم لا يقدرون على الاكتساب ولا لهم احد ينفق عليهم والمساكين وانما اخرهم لان حاجتهم اقل من حاجة غيرهم وابن السبيل يعنى المسافر فانه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع فى الحاجة والفقر فانظر الى هذا الترتيب بحسن الكامل ثم اتبعه بالاجمال فقال تعالى وما تفعلوا من خير فان الله به عليم وما تفعلوا من خير مع هولا او غيرهم طلبا لوجه الله ورضوانه فان الله به عليم قال ابن مسعود نسختها اية الزكاة وقال الحسن انها محكمة ووجه احكامها ان الله ذكر فيها من تجب النفقة عليه من فرضه وهما الوالدان وقال ابن زيد هذا فى النفل وهو ظاهر الاية فمن احب التقرب الى الله تعالى بالانفاق فالاولى به ان ينفق على الوجوه المذكورة فى الاية فيقدم الاولى فالاولى بقى فى الاية سوال وهو انه كيف طابق السوال الجواب وهو انهم سالوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف واجيب عن هذا السوال بانه قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو المال ثم ضم الى جواب السوال ما يكمل به المقصود وهو بيان المصرف لان النفقة لا تعتد نفقة الا ان تقع موقعها قال الشاعر ان الصنيعة لا تعد صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع • قوله عز وجل كتب عليكم القتال اى فرض عليكم الجهاد واختلف العلما فى حكم الاية فقال عطا الجهاد تطوع والمراد من الاية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب الثورى وحكى عن الاوزاعى نحوه وحجة هذا القول ان قوله كتب يقتضى الايجاب ويكفى العمل به مرة واحدة وحجة من اوجبه على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوله عليكم يقتضى تخصيص هذا الخطاب بالموجودين فى ذلك الوقت وقيل بل الاية على ظاهرها والجهاد فرض على كل مسلم ويدل عليه ما روى عن ابى هريرة قال قال رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل امير برا كان او فاجرا اخرجه ابو داود بزيادة فيه ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا وعلى ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط الفرض عن الباقين وهذا القول هو المختار الذى عليه جمهور العلما قال الزهرى كتب الله القتال على الناس جاهدوا او لم يجاهدوا فمن غزا فبها ونعمت ومن قعد فهو عدة ان استعين به اعان وان استنفر نفر وان استغنى عنه قعد قال الله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد تاركا فرضا لما وعده بالحسنى واختلف علما الناسخ والمنسوخ فى هذه الاية على ثلاثة اقوال احدها انها محكمة ناسخة للعفو عن المشركين القول الثانى انها منسوخة لان فيها وجوب الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله تعالى وما كان المومنون لينفروا كافة القول الثالث انها ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه فالناسخ منها ايجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع منه والمنسوخ ايجاب الجهاد على الكافة وقوله تعالى وهو كره لكم اى القتال شاق عليكم وهذا الكره انما حصل من حيث نفور الطبع عن القتال لما فيه من مونة المال ومشقة النفس وخطر الروح والخوف لا لانهم كرهوا امر الله وقيل نسخ الكره بقوله تعالى اخبارا عنهم وقالوا سمعنا واطعنا وقيل انما كان كراهتهم القتال قبل ان يفرض عليهم لما فيه من الخوف والشدة وكثرة الاعدا فبين الله تعالى ان الذى تكرهونه من القتال هو خير لكم من تركه لئلا يكرهوه بعد ان فرض عليهم وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم لفظة عسى توهم الشك مثل لعل وهى من الله يقين وقيل انها كلمة مطمعة فهى لا تدل على حصول الشك للقايل وتدل على حصول الشك للمستمع والمعنى ان الغزو فيه احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وقيل عسى ان الشى شاقا فى الحال وهو سبب للمنافع الجليلة فى المستقبل ومثله شرب الدوا المر فانه ينفر عنه الطبع فى الحال لكن يتحمل هذه الكراهة والمشقة لتوقع حصول الصحة فى المستقبل وعسى ان تحبوا شيا يعنى القعود عن الغزو وهو شر لكم يعنى لما فيه من فوت الغنيمة والاجر وطمع العدو فيكم لانه اذا علم ميلكم الى الراحة والدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتالكم واذا علم انكم شجعان وجلاد على القتال كف عنكم والله يعلم يعنى ما فى الغنيمة من الجهاد والاجر والخير وانتم لا تعلمون يعنى ذلك وفى هذا ان العبد اذا علم قصور علمه وكمال علم الله ثم ان الله تعالى امره بامر كان ذلك الامر فيه مصلحة عظيمة فيجب على العبد امتثال امر الله تعالى وان كان يشق على النفس فى الحال قوله عز وجل يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه سبب نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته فى سرية فى جمادى الاخر قبل قتال بدر بشهرين وامره على السرية وكتب له كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر فى الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب واقراه على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا تستكرهن احدا منهم على السير فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن معك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة فارصد بها عير قريش لعلك ان تاتينا منه بخبر فقال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه نهانى ان استكره احدا منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن يكره فليرجع ثم مضى ومضى اصحابه معه وكانوا ثمانية رهط لم يتخلف عنه احد منهم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له بحران اضل سعد بن ابى وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فتخلفا فى طلبه ومضى عبد الله ببقية اصحابه حتى نزل بطن نخلة بين مكة والطايف فبينما هم كذلك مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطايف وفى العير

Copyright © King Saud University